المبحث الأول

التلاؤم

تعد نشأة اللغة من أهم ما يشغل علماء اللغة قدماء ومحدثين، فلقد تعددت النظريات والاراء التي ناقشت هذه المسألة، ولعل الاساس المشترك الذي بنيت عليه هذه النظريات هو الصوت، ومن هنا نجد ان اللغة قد عرفت عند القدماء والمحدثين انها مجموعة من الاصوات أو الرموز الصوتية على حد تعبير ابن جني ودي سوسير[1]، ومن البدهي ان يكون لهذه الاصوات - عدا ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها - صفات تكون مشتركة عند الجميع، واهم هذه الصفات التلاؤم، فهي صفة يبغي الوصول إليها كل من المتكلم والسامع بعلم أو دون علم، ولعل الرابط المشترك بينهما في ذلك هو الاحساس والذوق وسهولة النطق وكمية الجهد المبذول فيه، ولم يكن ذلك غائباً عن تفكير العلماء، وانما كان حاضراً، فقد تركزت جهودهم في اتجاهين:((الاول: دراسة الانسجام الصوتي في اللفظة الواحدة...، والثاني: دراسة القيمة التعبيرية للاصوات ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار))[2] ولقد كان للخليل وابن جني الاثر الاكبر في ابراز هذين الاتجاهين، وقبل ان نقف على ماتركه لنا علماء العربية من اشارات واراء في التلاؤم، لابد لنا اولاً من التعريف به.

التلاؤم لغة:

إذا اتفق الشيئان فقد التأما[3]، وقد تلاءم القوم والتأموا أي اجتمعوا واتفقوا[4]، فالتلاؤم في اللغة هو الاتفاق والاجتماع.

التلاؤم اصطلاحا:

((أن تكون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها))[5] ويشمل التلاؤم أيضاً اتفاق الحروف وتآلفها عند اجتماعها بسهولة على اللسان وحسن في

(1) =: الخصائص: 1 / 34، علم اللغة العام / 33 - 34 .
(2) الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين، د. هادي نهر، بحث في مجلة اداب المستنصرية ع8 لسنة 1984 / 249 - 250.
(3) =: مقاييس اللغة: 5 / 226 مادة (لام) .
(4) =: ل: 12 / 531 مادة (لام) .
(5) معجم المصطلحات البلاغية: 1 / 291.

الاسماع ودقة تعبير عن المعنى وتقبله في النفس. وقد اخذ الحديث عن التلاؤم قديماً يتناول ما هو ضده ليظهر به فضله واهميته، وهو التنافر.

التنافر لغة:

((اصل صحيح يدل على تجاف وتباعد))[1]

التنافر اصطلاحاً:

((وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها))[2] ومن هنا يدخل التلاؤم وضده في الدرس الصوتي دخولاً مباشراً لانهما صفتان للجمع بين الاصوات، فمادة كل منهما الصوت. ولاشك ان تنافر حروف الكلمة يتعلق بفصاحة الكلمة، أمّا تنافر حروف الكلمات فيتعلق بفصاحة الكلام.

التلاؤم عند السابقين للرماني:

يجد الكاتب ان علماء اللغة المحدثين يعدون دراسة الاصوات اول خطوة في آية دراسة لغوية، لانها تتناول الصوت بوصفه اساساً للكلام الانساني، في حين ان دراسة الاصوات لدى القدماء كانت تشكل مباحث أو فصولاً صغيرة في مؤلفاتهم المختلفة، وكانت تمهد للحديث عن بعض الظواهر الصوتية كالادغام والاعلال والابدال، إلاّ ان ماقدموه يعد اثراً كبيراً في الدراسات الصوتية، لاسيما بحثهم في التلاؤم الصوتي، والذي احسوه ضرباً من التناغم فميزوا ما يتالف من الحروف وما يتنافر، ويشكل حديثهم عن ائتلاف الحروف في الكلمة وبحثهم عن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها اثراً بارزاً في هذا الميدان، فقد أشار الخليل وسيبويه إلى مايسمى بالانسجام الصوتي مثل ابدال السين صاداً في كلمة مثل (السويق).... وعللا هذه الظاهرة بما عرف بالاقتصاد في الجهد العضلي[3].

وتحدثوا أيضاً عن التنافر، وقد كان قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفرٍ وليس قُربَ قَبْرِ حربٍ قبرُ[4]

مثالا عندهم للتنافر.

(1) مقاييس اللغة: 5 / 459 مادة (نفر) .
(2) التعريفات، للشريف الجرجاني / 42 .
(3) =: البحث اللغوي عند العرب، د. احمد مختار عمر / 118 - 119 .
(4) البيان والتبيين: 1/ 65 .

ويرى الجاحظ ان الالفاظ إذا لم يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات، واذا لم يكن موقع الكلمة إلى جنب اختها مرضياً كان صعباً على اللسان انشاد ذلك الشعر، واما إذا توافقت الالفاظ في نظمها واتسقت جرت على اللسان كما يجري الدهان[1].

وقد تنبه القدماء إلى سبب التنافر فذهبوا إلى انه ((كلما تقارب مخرج الحرفين كانا اثقل على اللسان منهما إذا تباعدا، ومن شأن العرب استعمال ماخف، وتجنب ما ثقل، وكذلك لايكادون يجمعون بين حرفين من مخرج واحد أو مخرجين متساويين واذا اجتمعا ادغموا احدهما في الآخر))[2]، وهكذا نجدهم على اتفاق بان تقارب المخارج يؤدي إلى التنافر.

وقد عده ثعلب من عيوب الشعر وسماه (الاكفاء) كدخول الذال على الظاء[3]، كما تحدث عن الاجازة وهي اجتماع الاخوات كالعين والغين والسين والشين، ويرى ان الشعراء الذين جمعوا بينها قد افسدوا شعرهم، ولايميل ثعلب إلاّ إلى التوسط ((فالتوسط ممدوح في كل لغة، موسوم بكمال الحكمة))[4]، والتوسط عند ثعلب يقابل عند الرماني - كما سنرى - التعديل.

وهو ما أكّد عليه ابن طباطبا أيضاً حيث يرى ان ((علة كل حسن مقبول الاعتدال))[5] فضلا عن اشارته للاثر النفسي للتلاؤم ومراعاة الحالة النفسية للمتلقي ((فللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال اجزائه))[6]، ولايقتصر حديث ابن طباطبا على التلاؤم في اصوات اللفظة الواحدة بل يشمل تلاؤم اللفظة مع جاراتها في النظم إذ ((ينبغي للشاعر ان يتامل شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها.... ولاييباعد كلمة عن اختها ولايحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها))[7].

(1) =: م ن: 1 / 66 و 67 .
(2) البرهان في وجوه البيان / 431 .
(3) =: قواعد الشعر / 68 .
(4) م ن / 71 .
(5) عيار الشعر / 15.
(6) م ن / 15.
(7) ن / 15.

وليس هذا فحسب، بل عالج القدماء التلاؤم والتنافر بين اللفظ والمعنى، فتحدثوا عن المعاظلة بوصفها من عيوب اللفظ ((وهي التي وصف عمر بن الخطاب ﷺ زهيراً بمجانبته لها فقال: (وكان لايعاظل في الكلام)، والمعاظلة: مداخلة الشئ في الشئ... واذا كان الامر كذلك فمحال ان ينكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه أو في ما كان من جنسه، وبقي النكير إنما هو في ان يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به، وما اعرف ذلك إلاّ فاحش الاستعارة مثل قول اوس بن حجر[1]:

وذاتُ هِدْمٍ عَارٍ نَوَا شِرُها تُصْمِتُ بالماءِ تَوْلباً جَدِعا))[2]

ويركز قدامة هنا على التنافر في المعنى لا في اللفظ، ويظهر ذلك من خلال ما يسوق من امثلة، والحق ان المعاظلة هنا تنافر اللفظ عن المعنى المقصود في السياق إذ ان قدامة قد تحدث عن المعاظلة اللفظية حيث يرى انها ((مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من وجه أو في ما كان من جنسه))[3].

وقد تحدث الامدي عن التلاؤم عند تعليقه على قول ابي تمام[4]:

هُنّ عوادي يوسفٍ وصواحبه فعزماً فقدماً ادرك الناي طالبه

إذ يرى انه ((جاء بثلاثة الفاظ متوالية كلها رديئة في موضعها.... وان هذا كلام لا يلائم بعضه بعضا ولا يتشابه))[5]، واذا كان الامدي له دوافعه لهذا الحكم فقد جانب الصواب، إذ ان المطلع قد جمع دلالات عديدة تبرزها الظواهر البلاغية فيه كالطباق والتنكير، والمفاجأة التي حققها الضمير (هن) الذي صور مبالغة فعل صاحبته وغير ذلك[6]. واذا كان الامدي يعد توالي غرابة الالفاظ في الشعر سببا لعدم التلاؤم، فلا يصدق ذلك على التعبير القرآني، الاترى إلى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْؤُا تَذْكُرَ يُوسُفَ حَتى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِين** ﴾[7] كيف اتى باغرب احرف القسم ثم باغرب صيغ

(1) ديوانه / 55 .
(2) نقد الشعر / 201.
(3) م ن / 174 .
(4) شرح الصولي لديوان ابي تمام: 1 / 289 ، و =: الموازنة بين ابي تمام والبحتري /17.
(5) الموازنة بين ابي تمام والبحتري / 18 .
(6) =: هن عوادي يوسف، دراسة بلاغية / 247، احمد فتحي رمضان، اداب الرافدين / ع 22 لسنة 1991 . 1991
(7) سورة يوسف: 85 .

الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الاخبار ثم باغرب لفظ من الفاظ الهلاك (حرضا) ((فاقتضى حسن الوضع في النظم ان تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالالفاظ))[1].

وهكذا نجد ان السابقين للرماني قد تناولوا التلاؤم بفروعه الثلاثة، تلاؤم اصوات اللفظة الواحدة، وتلاؤم اللفظة مع اخواتها في التركيب وتلاؤم اللفظ مع المعنى، وهو ما سنجده عند الرماني بايجاز عميق وشامل.

التلاؤم عند الرماني:

التلاؤم هو القسم الرابع من اقسام البلاغة عند الرماني بعد الإيجاز والتشبيه والاستعارة، وهو اول مبحث صوتي في نكته، الحق به الفواصل ثم التجانس ثم التصريف، وهي بلا شك تكون جزءاً من بلاغة البناء الصوتي مما يظهر جانبا من دقة المنهج الذي جاءت عليه رسالة الرماني.

يبدأ ابو الحسن حديثه في هذا القسم وكما عهدناه في بقية الاقسام بوضع الحدود اولا ثم يورد تقسيماتها ثانياً ثم ما يتعلق بها من قواعد وشواهد وما يمكنه من اظهار بلاغة القرآن المعجزة باجتماع هذه الاقسام. فالتلاؤم عنده ((تعديل الحروف في التأليف))[2]، وهو ضد التنافر، وهنا تستوقفنا ثلاثة الفاظ في تعريفه، وهي (تعديل) و (حروف) و (تأليف)، فلفظة التعديل هنا تجمع بين وجهين، الاول: يوضحه الرماني بقوله ((التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد))[3]، وهكذا تكون الحروف متلائمة في تأليفها للفظة، متعادلة بين البعد البعد والقرب في المخارج. والثاني: هو التعديل في الالفاظ من حيث الطول والقصر، فكلما كانت عدد الحروف اقل كان للفظ حسن في السمع وسهولة في النطق، وهو ما جعله الرازي سبباً في الفصاحة بقوله: ((ان تكون الكلمة متوسطة في قلة الحروف وكثرتها))[4]. وكثرتها))[4]. ولايشكل الوجه الاول قاعدة عامة، إذ نجد في القرآن الكريم الفاظاً قد تالف فيها من الاصوات ما هو متقارب المخارج، اقرأ قوله تعالى في مشهد من مشاهد يوم

(1) البيان العربي، د. بدوي طيانة / 53 .
(2) ر / 94 .
(3) ر / 96 .
(4) نهاية الإيجاز / 59 .

القيامة: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [1]، فلفظ (العهن) تجاور فيه العين والهاء وهما من اصوات الحلق، وآثر القرآن هذه اللفظة على غيرها مثل (الصوف)، لانها جاءت معبرة تعبيراً دقيقاً عن المعنى المقصود، فضلاً عن مجيئها بصيغة المفرد، فقد وصفت بلفظ (المنفوش) لتوحي بصغر الحجم وخفة الوزن الذي تؤول إليه هذه الجبال في ذلك اليوم، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [2] وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [3] وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [4] فالالفاظ (اعهد واهل واحسن) تبدأ باصوات متقاربة في المخارج لكنها متلائمة لاتشكل ثقلا على اللسان أو السمع، وكذلك الوجه الثاني - كنظيره الاول - لايشكل قاعدة عامة، إذ نجد في القرآن الكريم الفاظاً طويلة، احرفاً ومقاطع، إلاّ انها جاءت متلائمة دون ان تثقل في النطق أو السمع، بل كان لها اثر في النفس لايؤديه غيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [5] وقوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [6] وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [7] وقوله: ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [8] وقوله: وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [9] وقوله: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ [10]، وهكذا تأتي هذه الالفاظ لتخرق القواعد والقوانين البشرية، وتحقق تلاؤماً من نوع خاص، فلا تطبيق لقواعد وقوانين يضعها البشر على القرآن، بل منه يؤخذ العلم وتستنبط القواعد والقوانين، ويرى الرافعي[11] ان عذوبة هذه الالفاظ جاءت من تنوع مخارج الحروف ومن نظم الحركات، مما يؤكد صحة جزء مما ذهب إليه الرماني في قوله: (تعديل الحروف) والذي يعني تنوع

(1) سورة القارعة: 5 .
(2) سورة يس: من 60 .
(3) سورة القصص: من 12.
(4) سورة الاسراء: من 34.
(5) سورة النور: من 55 .
(6) سورة البقرة: من 137.
(7) سورة هود: 28 .
(8) سورة التوبة: من 38 .
(9) سورة فاطر: من 37 .
(10) سورة ال عمران: من 185 .
(11) =: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / 299 .

المخارج. أمّا لفظ (الحروف) الوارد في تعريف الرماني فيمكن ان يكون بمعنى اصوات الحروف أو ان يكون بمعنى الالفاظ وبهما يستقيم التعريف لاسيما وان القدماء كانوا يعبرون احياناً عن الالفاظ بلفظ الحروف[1].

اقسام التلاؤم:

لقد اوجز الرماني بلفظ (التأليف) اقساماً أو فروعاً ثلاثة للتلاؤم وهي التي تحدث عنها علماء العربية الذين سبقت الإشارة اليهم، وهذه الاقسام:

1- تلاؤم اصوات حروف اللفظة الواحدة مع بعضها.

2- تلاؤم اللفظة مع الالفاظ الاخرى في التركيب.

3- تلاؤم الالفاظ مع المعاني.

وهذه الفروع تسري عليها اوجه التأليف الثلاثة عند الرماني، وقد حاولنا بايجاز اظهار ما تتميز به الفاظ التعبير القرآني من تلاؤم بفروعه الثلاثة، واذا كان ما ذكره الرماني في حده للتلاؤم لايشكل قاعدة عامة كما ذكرنا، إلاّ انه وضع اساساً صحيحاً لما سيضيف إليه من بناء، فتعديل الحروف الذي ذكره إنما هو ((التناسق الذي يستشعره القارئ بين حروف القرآن والذي يعد سمة عامة في تعبيره))[2]. وسنحاول في الحديث عن عن اوجه التأليف وشروط التلاؤم ان نظهر بعض جوانب التلاؤم القرآني بفروعه الثلاثة.

(1) =: الكليات: 2 / 242 .

(2) الجرس والايقاع في تعبير القرآن، د. كاصد ياسر، بحث في مجلة اداب الرافدين، ع 9 لسنة 1978 / 340.

أوجه التأليف:

التأليف بفروع التلاؤم الثلاثة المذكورة، يجعله الرماني على ثلاثة اوجه ((متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا))[1] وشاهده للتنافر هو شاهد سابقيه، وهو البيت الذي قيل انه من اشعار الجن، ويعزو الرماني التنافر في هذا البيت إلى تنافر الحروف. بيد ان الفاظ البيت قد خلت من لفظة تجمع بين صوتين من مخرج واحد أو متقاربين في المخرج، فسبب التنافر هو ترداد صوتي لحرف أو اكثر، فحرف الراء تكرر سبع مرات وحرف الباء مثلها وحرف القاف خمس مرات فشكل هذا التكرار ثقلا على اللسان لتوالي لفظ الحروف المكررة، ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره الرازي من ان سبب التنافر هو ((العود على ما عنه البدو))[2] ولايشكل التكرار ايضاًقاعدة عامة في التنافر ((فقد تتكرر الحروف وتترادف في الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها وخفتها على اللسان وسهولة النطق بها، إلاّ ترى إلى قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [3] كيف اجتمع فيها ستة عشر ميماً في آية واحدة، وقد تلاصق منها اربع ميمات في موضع وميمان في موضع مع ما اشتملت عليه من الطلاوة والرونق الذي ليس في قدرة البشر الاتيان بمثله))[4]، ومثله قوله تعالى في ابني آدم: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [5] فنلاحظ ترداد حرف (القاف) عشر مرات وقد جاء التعبير القرآني في غاية الفصاحة.

أمّا الوجه الثاني من اوجه التأليف فهو المتلائم في الطبقة الوسطى، يمثل له الرماني بقول الشاعر الاموي ابو حية النميري[6]:

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميمُ

(1) ر / 95 .
(2) نهاية الإيجاز / 58 .
(3) سورة هود: 48 .
(4) صبح الاعشى: 2 / 273.
(5) سورة المائدة: 27 .
(6) =: ر / 95 والبيان والتبيين: 1 / 87، والكامل: 1 / 29 - 30 .

رميم التي قالت لجيران بيتها ضمنتُ لكم إلاّ يزال يهيمُ
إلاّ رُبّ يومٍ لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضّال قديمُ

والرماني إذ يأتي بهذه الابيات فلا ثبات ما ذهب إليه من ان تعديل الحروف سبب للتلاؤم، وقد جعلها - على الرغم من سهولة النطق بها وحسن نظمها - في الطبقة الوسطى ليصل إلى مبتغاه في الوجه الثالث: وهو المتلائم في الطبقة العليا وهو ((القرآن كله وذلك بين لمن تأمله))[1]، وهنا يوجه الرماني الدعوة للتأمل في هذا الكتاب الكريم ودراسة البناء الصوتي فيه دراسة شاملة تتجلى فيها بلاغة اقسام التلاؤم الثلاثة واعجازه الصوتي لاسيما إذا اقترنت مثل هذه الدراسات باخرى موازية تختص بالشعر والنثر العربي الاصيل.
ولايوافق ابن سنان - الرماني - فيما ذهب إليه في اوجه التأليف إذ يقول: ((وهذا الذي ذكرهُ غير صحيح والقسمة فاسدة))[2] إذ يرى ابن سنان ان التأليف ضربان، متنافر ومتلائم، والعجب انه اراد بذلك ان يجعل القرآن والكلام العربي شعراً ونثراً في طبقة واحدة إذ يقول:
((ولافرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار.... ان في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه))[3] والحق ان وهن قوله هذا واضح بيّن، واوهن من ان يرد عليه أو يلتفت إليه، ويرفض ابن سنان ان يكون التلاؤم وجهاً من وجوه الإعجاز إذ يقول: ((ولعل ابا الحسن يتخيل ان الإعجاز في القرآن لايتم إلاّ بمثل هذه الدعوة الفاسدة))[4] والدافع وراء هذا الرأي الرأي هو انه من القائلين بالصرفة إذ يقول: ((واذا عدنا إلى التحقيق، وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بان سُلبوا العلوم التي كانوا بها يتمكنون من المعارضة))[5] وهو رأي مرفوض ولاصحة فيه[6]، ويمضي ابن سنان في مناقشته الرماني

(1) ر / 95 .
(2) سر الفصاحة / 109 .
(3) سر الفصاحة / 110 .
(4) م ن / 110 .
(5) ن / 110 .
(6) رده الخطابي في بيان إعجاز القرآن / 22 - 23، والباقلاني في إعجاز القرآن / 29، والجرجاني في الرسالة الشافية / 146 ودلائل الإعجاز / 356 - 357، والقول بالصرفة ((قول فاسد)) كما قال الزركشي في البرهان: 2 / 94 لانه لايجعل القرآن معجزاً بذاته، بل باسباب خارجية لاعلاقة لها بنظمه وفصاحته وبلاغته .

الرماني في التلاؤم والتنافر، وهو حين يجعل القرآن وكلام العرب في طبقة واحدة من التلاؤم يستند إلى حجة ضعيفة تعتمد على اللفظة الواحدة إذ يقول: ((اوليس هذه اللفظة قد تكلمت بها العرب قبل القرآن وبعده.... فقد اقررت الآن ان في كلام العرب ما هو متلائم في الطبقة العليا وهو الالفاظ المفردة))[1] ولم يلتفت في هذا إلى ان الرماني قد اسند التلاؤم إلى التركيب وحسن النظم أيضاً وهو ما سنتناوله في شروط التلاؤم، فنظم كلام العرب لم يكن كنظم القرآن والا فمن اين كان الإعجاز، ثم ان الالفاظ المجردة لاتتفاضل، فاللفظة تروقك وتؤنسك في موضع، وتثقل عليك في آخر[2].

شروط التلاؤم:

يمكن القول ان شروط التلاؤم قد بثها الرماني متفرقة خلال حديثه عن التلاؤم والتنافر، وسنحاول جمعها في ثلاث نقاط:

اولا: التعديل: وقد فصلنا القول فيه خلال حديثنا عن حدّ التلاؤم عند الرماني.

ثانيا: الاحساس والفطنة: فحين يقرر الرماني ان القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، يشير إلى هذا الشرط بقوله: ((وبعض الناس اشد احساسا بذلك وفطنة له من بعض))[3] وهي إشارة إلى ان الحس والذوق العربي السليم يعد شرطا لادراك التلاوم ((والمراد هنا الذوق الذي تربى وقويت اسانيده))[4] ولا شك ان ذلك يسري على المتكلم والسامع معا، فذوق المتكلم واحساسه وفطنته تدفعه لاختيار الالفاظ المتلائمة بفروع التلاؤم الثلاثة ((فالتلاؤم في التعبير موهبة وسجية، ياتي الناس به عن طريق الفطنة، وشدة الاحساس، ويتمايزون في ذلك كل حسب مقدرته وطبيعته))[5] وفي ذلك يقول الرماني: ((واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع

(1) سر الفصاحة / 111 .
(2) =: دلائل الإعجاز / 92 .
(3) ر / 95 .
(4) المعاني في ضوء أساليب القرآن / 69 .
(5) اثر القرآن في تطور النقد العربي / 239 .

كاختلافهم في الصورة والاخلاق))[1]، أمّا ذوق السامع فهو استعداده لتحسس الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما يستطيع.

ثالثا: القرب والبعد في المخارج: يعود الرماني ليؤكد ان السبب في التنافر ((ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك انه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، واذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي القيد، لانه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال))[2] وقد بينا ان هذا الحكم لايشكل قاعدة عامة وايدنا ما ذهبنا إليه بالشواهد القرآنية، وعلى الرغم من ان الرماني قد اسبق هذا الحكم باشارة إلى الاحساس والفطنة، إلاّ ان ما ذكره هنا - لاسيما قوله: (لانه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه) يعد التفاتةً ذكية إذ هي ((ملاحظة لصلة الجمال اللفظي بسهولة حركة اللسان))[3] لاسيما ان هذه الملاحظة يوضحها علم الجمال حديثا، إذ ان ((الجمال يرجع في ناحية من نواحيه إلى رشاقة الحركات والاقتصاد في الجهد العضلي))[4]، وحين لايضع الرماني قواعد محددة توضح الفرق بين اوجه التأليف الثلاثة ويترك ذلك لفطنة المتكلم واحساس السامع اولا ثم ينقل عن الخليل سبب التنافر ثانيا فان ذلك لا يشكل ضعفا ولا اضطرابا في شخصيته كما ذكر الدكتور عبد القادر حسين[5]، بل اجد ان ذكره للخليل يظهر جانبا جانبا من امانته العلمية التي وجدنا البعض ممن جاءوا بعده يفتقدونها، فقد نقلوا عنه الكثير دون ذكر اسمه وهو ما سنبينه في حينه، ثم ان المنهج الذي عرض فيه قسم التلاؤم يوكد انه جعل السبق للاحساس والفطنة واخر ما نقله عن الخليل، على الرغم من انه لم يكتفِ بهذا النقل بل زاد الشيء الكثير من اسباب وشروط التلاوم.

واذا لم يوافق ابن سنان - الرماني - في اوجه التأليف، فإنه يتفق معه في ان سبب التنافر هو تقارب المخارج، ولا يعد التباعد سببا للتنافر[6]، وهو بذلك لايختلف عما ذهب

(1) ر / 96 .
(2) ر / 96 .
(3) اثر القرآن في تطور النقد العربي / 239 .
(4) م ن / 240 .
(5) =: اثر النحاة في البحث البلاغي / 258 .
(6) =: سر الفصاحة / 112 .

إليه البلاغيون في هذه المسالة. ويعلل الرازي سبب كون التقارب يؤدي إلى التنافر بقوله: ((لأن ما كان كذلك يحتاج فيه إلى حبس الصوت في زمانين متلاصقين))[1]، ويؤكد ابن الاثير (ت637 هـ) أيضاً ان التباعد يكسب الالفاظ حسنا والتقارب يكسبها قبحا ويعلل ذلك بان النطق في الحروف المتباعدة يكون له مهلة واناة، ((لأن بين المخرج إلى المخرج فسحة وبعدا، فتجيئ الحروف عند ذلك متمكنة في مواضعها، غير قلقة ولامكدودة، واذا اتى اللفظ على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ليجمعها ويركبها، لم يخلص من مخرج إلاّ وقد وقع في المخرج الذي يليه لقرب ما بينهما))[2] ويزيد ان التباعد لايكفي لحسن اللفظة فالحركات الثقيلة مع تباعد المخارج يودي إلى القبح، والحق ان ذلك أيضاً لايطرد ولايسري على القرآن الكريم، إلاّ ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [3] كيف توالت فيه الحركات لكنها اكسبت الآية جمالا في مطابقتها لمقتضى الحال في تصوير العذاب...، ويناقش ابن الاثير ابن سنان الخفاجي في مسألة تباعد مخارج الحروف والتي عدها الاخير من شروط فصاحة اللفظة، إذ يقول ابن الاثير: ((إذا سئلت عن لفظة من الالفاظ، وقيل لك: ما تقول في هذه اللفظة احسنة هي ام قبيحة؟ فإني لا اراك عند ذلك إلاّ تفتي بحسنها أو قبحها على الفور، ولو كنت لا تفتي بذلك حتى تقول للسائل: اصبر إلى ان اعتبر مخارج حروفها ثم افتيك، لصح لابن سنان ما ذهب إليه....فحسن الالفاظ اذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع إلى حاسة السمع))[4] وهو ما أكّد عليه الرماني من قبل.

(1) نهاية الإيجاز / 58 .
(2) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: 2 / 40 .
(3) سورة سبأ: 16 .
(4) المثل السائر: 1 / 153 .

الادغام والابدال:

يشير الرماني خلال حديثه عن تقارب المخارج إلى ظاهرتين صوتيتين في اللغة العربية إذ يقول: ((والسهولة في ذلك الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الادغام والابدال))[1] ويعزو الرماني السبب فيهما إلى تقارب المخارج، فحدوث الادغام والابدال هو طلب للاعتدال وهروب من ثقل النطق على اللسان، ومن هذه اللمحة السريعة والاشارة العابرة للرماني، يمكن القول انه ادرك ((ان الاصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ويمكن ان يسمى هذا التاثر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللغة))[2] فضلا عن انها تحقق تيسيرا في عملية النطق واقتصادا في الجهد العضلي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ** ﴾[3] إذ الاصل ((يتثاقل --- يثْثاقل --- إثْثاقل --- إثْثاقل --- إثّاقل))[4] فتقارب التاء والثاء ادى إلى الادغام، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا** ﴾[5] وغير ذلك.واذا كان شرط الادغام التماثل أو التجانس أو التقارب فان شرط الابدال ((وجود علاقة واضحة بين الحروف المُبدَل والمُبدَل منه، وهذه العلاقة قد تكون علاقة مقاربة أو مماثلة في المخرج والصفة أو في واحدة منهما))[6]، والغاية في الادغام والابدال تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة[7]، ولا شك ان الادغام والابدال يشكلان أهم الظواهر الصوتية في علم التجويد، وقد نطق العرب بسجيتهم وسليقتهم اللغوية بحسب هذه الظواهر إلاّ انها بعد نزول القرآن الكريم اصبحت تشكل علما لابد لقاريء القرآن ان يتقنه.

(1) ر / 96 .
(2) الاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس / 178 .
(3) سورة التوبة: من 38 .
(4) المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصرة، عبد القادر مرعي خليل / 137
(5) سورة البقرة: من 32 .
(6) المصطلح الصوتي عند علماء العربية / 168 .
(7) =: المنهج الصوتي للبنية العربية / 178 .

فائدة التلاؤم واثره النفسي:

ان ما ذكره الرماني من فائدة للتلاؤم يعد أيضاً شروطا عامة له وصفات للفظ والتركيب المتلائم، إذ يقول: ((الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة))[1]، ويقول أيضاً ((والتلاؤم في التعديل... يظهر بسهولته على اللسان وحسنه في الاسماع، وتقبله في الطباع))[2]، وهنا تظهر بجلاء التفاتته إلى الاثر النفسي الذي يحدثه تلاؤم الالفاظ وتناسقها في قارى القرآن وسامعه أيضاً، فالاذن واللسان والنفس هي وسائط لتحسس جماليات التلاؤم، ويؤكد بها ما ذهب إليه من اعتماد الاحساس والفطنة للمتكلم والسامع في التلاؤم، وهو حين يقول (حسن الكلام في السمع)، ويربط ذلك بالنفس والطباع، يشير إلى نوعين من موسيقى الالفاظ، احدهما: الموسيقى الداخلية ((وهي جرس اللفظة المفردة ووقعها على السمع الناشى من تعريف اصوات حروفها وحركاتها ومدى توافق هذا الايقاع مع دلالة اللفظ))[3] وثانيهما: الموسيقى الخارجية للالفاظ ((وهي التي تتالف من ارتباط الالفاظ مع بعضها في البيان العربي وتشكل الايقاع العام للجملة))[4] وهكذا تتجلى اهمية السمع في الحكم على حسن الالفاظ اوقبحها، وقد تابع ابن الاثير[5]- الرماني - في ذلك.

وقد عنيت بعض الدراسات المعاصرة [6] بدراسة اللفظة وايحائها بدلالاتها من خلال خلال طبيعة تركيبها الصوتي فوجدت ان كثيرا من الالفاظ التي تبدو ثقيلة في النطق، ضرورية في السياق، ((وانها بجرسها واصواتها التي تالفت منها تعطي من الدلالات والايحاءات ما لا يغني فيه غيرها))[7]، فقد وردت في القرآن الكريم الفاظ ((تميزت قيمتها التعبيرية بجرسها الذي تلقيه في الاذن وبقدرتها على اثارة الخيال))[8]، اقرأ قوله تعالى: ﴿

(1) ر / 96 .
(2) ر / 96 .
(3) الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية / 41 .
(4) م ن / 41 .
(5) =: المثل السائر: 1 / 153 .
(6) منها: التصوير الفني في القرآن، والإعجاز البياني ومسائل ابن الازرق، والإعجاز الفني في القرآن، والمشاهد في القرآن الكريم.
(7) التعبير البياني / 5 .
(8) جرس الالفاظ ودلالتها / 168 .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [1] و قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ [2] والفاظ اخرى مثل (كبكبوا - و - الصاخة - و - الطامة)[3] فكل صوت في مثل هذه الالفاظ يودي وظيفته التعبيرية بجرسه الذي يقع في السمع فيثير الانفعال المناسب في النفس ويحرك الخيال للربط بين الصور السمعية والذهنية، فشدة الطاء اوحت بشدة الصراخ واضافت له قوة لا يوديها لفظ (يصرخون)، واجتماع الصاد والخاء والتضعييف في (الصاخة) جعل للفظة قوة تخرق صماخ الاذن لتوحي بصفة ذلك اليوم العظيم، وتكرار الحروف في (بمزحزحه و كبكبوا) اوحى بثقل الحركة وبطئها في الاول، وشدة التغليب وعدم الاستقرار في الثاني، ولا تتساوى الاصوات من حيث الإيحاء بالدلالة، وانما تختلف باختلاف صفاتها، فضلا عن ان العبرة بموقع الاصوات من الكلمة لا بمجرد دخولها في تركيبها[4] ، وهكذا يظهر لنا سبب آخر للتنافر وهو ورود الالفاظ التي تجمع بين اصوات متقاربة المخارج في سياقات تعبيرية من المستوى العادي أو المتدني للاداء اللغوي، حتى إذا جاءت في سياق من التعبير الفني الاصيل المتناسق كان لها وقع واثر ودلالة لايوديها غيرها من الالفاظ، وتلك هي سمة من سمات التعبير القرآني، وهو ما أكّد عليه عبد القاهر الجرجاني[5] أيضاً. ومما لا شك فيه ان الرماني كان مدركا لاهمية هذه الناحية الصوتية ودخولها في بلاغة القرآن، لأن من الظواهر الصوتية ما تؤدي إلى تغيير المعنى بتغيير صوت واحد سواء كان نتيجة المخرج بين الصوتين ام اتحادهما في الصفة، والقرآن قد بلغ غاية الدقة في الدلالة الصوتية أو ما يطلق عليه (رمزية الالفاظ) أو (الاناماتوبويا - onomatopoa)[6] من ذلك ما ذكرناه من الفاظ التعبير القرآني من نحو (يصطرخون) وغيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾ [7] وقوله: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [8] وكذلك بين قوله: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ

(1) سورة فاطر: من 37 .
(2) سورة البقرة: من 96 .
(3) =: على الترتيب: سورة الشعراء: من 94، سورة عبس: من 33، سورة النازعات: من 34 .
(4) =: الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين /253 .
(5) =: دلائل الإعجاز / 92 .
(6) =: دلالة الالفاظ / 68. والجرس والايقاع في تعبير القرآن / 335 .
(7) سورة الزخرف: من 32 .
(8) سورة الانبياء: من 11 .

مَحْظُورًا ﴾ [1] وقوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [2]، ولا يخفى ما في ذلك من القيمة التعبيرية لهذه الاصوات ومدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار، وهنا يتجلى في كل ذلك القسم الثالث للتلاؤم وهو تلاؤم اللفظ مع المعنى. ومما يدخل أيضاً في (حسن السمع) وارتباطه بالاثر النفسي ما نجده في القرآن الكريم من وصف الليل، إذ تتسم الايات التي تضمنته بموسيقاها الرقيقة، المناسبة لهدوئه وانتشاره، فالقرآن ((يتخير الالفاظ تخيرا يقوم على اساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية.... فالالفاظ ذات الجرس الموسيقي الرخي والسلس تكون في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة الجميلة))[3] من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [4]، وتتسم الموسيقى بالشدة والقوة المناسبة للمعنى في الفاظ اخرى، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [5]، [5]، فلفظة (صَبّ) توحي بشدة العذاب وشموليته فاللفظة قد رسمت صورة لاترسم بلفظة (القى) أو غيرها، واسنادها إلى الفاعل الظاهر جعلها اكثر قوةً، ولفظة (عليهم) التي اكدت بان الصب من اعلى إلى اسفل لتزيد من قوته، ثم ذكر الفاعل (ربك) ليؤكد الحدث ويزداد قوة، ولفظة (سوط) وملائمتها لشدة العذاب، إذ كان السوط عندهم نهاية ما يعذب به[6]، وكذلك ما للضمير (الكاف) في اسناد لفظة الرب إليه من اشعار بذل هؤلاء وعزة للنبي ﷺ. كل ذلك واكثر منه، توحيه موسيقى هذه الالفاظ ونظمها. ومثله قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [7] فجرس اللفظة الغريب يلائم تلك القسمة الغريبة، وقد آثرها التعبير القرآني على (ظالمة) أو (جائرة) لأن لها وقعاً نفسياً يحدثه جرسها ((بما فيه من ثقل حرف الضاد المستعلي الفخم، وايحاء المدين المتقابلين إلى اسفل والى اعلى (الياء والالف)))[8] اللذين رأى الرافعي[9] في جرسهما ما يشبه حالة المتهكم المستغرب حين يميل يده ورأسه. ويظهر الاثر النفسي أيضاً في التقابل الموسيقي المتلائم مع تقابل الصور، من ذلك مانجده

(1) سورة الاسراء: من 20 .
(2) س ن: من 57 .
(3) الجرس والايقاع في تعبير القرآن / 335 .
(4) سورة التكوير: 18 .
(5) سورة الفجر: 13 .
(6) =: الجامع لاحكام القرآن: 8 / 139 .
(7) سورة النجم: 22 .
(8) الجرس والايقاع في تعبير القرآن / 346 .
(9) =: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / 230.

في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1]، ولايخفى ان سلاسة الالفاظ بجرس اصواتها يلائم فرحة القلوب، وشدة الالفاظ وقوتها بجرس اصواتها يعبر عما بداخل هؤلاء الكفرة من مشاعر مرهقة، وهذا التقابل ضرب من التناسق الفني في القرآن واسلوب من أساليب التصوير فيه[2]، والرماني حين يحاول اظهار الاثر النفسي للتلاؤم وهو يتحدث عن الإعجاز، قد ادرك هذه الدقة في اختيار الفاظ التعبير القرآني وادراك الدلالة الايحائية للالفاظ وموسيقاها، لذا فقد ربط بين حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبله في النفس، وبين حسن البيان، لاسيما وان حسن البيان عنده على مراتب، اعلاها ما اكتملت فيه البلاغة من جمال التعبير وروعة الاداء ((من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة))[3] المرتبة))[3] فهذا الربط يؤكد ادراكه لاهمية السمع واللسان والنفس في ادراك حسن النظم، ثم هو ادراك لاقسام التلاؤم الثلاثة التي مر ذكرها.

وحين يذكر الرماني (حسن الصورة وطريق الدلالة) لايخفى ما في ذلك من ربط بين اللفظ والمعنى سواء اللفظ المفرد أو التركيب، وهو ما ايدناه بالامثلة والشواهد القرآنية السابقة، وفي القرآن الفاظ لايضاهيها غيرها في التعبير عن المعنى في كلام العرب، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [4] فاي لفظة يمكن يمكن ان تعطى ما اجملته لفظة (اسفونا) من معانٍ ودلالات، وما اضافه جرس اصواتها من دلالات توحي بعظم جرم هؤلاء واثره، وتكاد تجمع بين مشاعر نفسية هي مزيج بين متضادات لاتجمع إلاّ في هذه اللفظة. وهكذا يجد المتأمل لالفاظ القرآن الكريم ومعانيه تلاؤماً اعلى وابعد من كل ما يمكن الوصول إليه من قواعد وقوانين صوتية ودلالية، وقد توهم العرب ان الإعجاز يكمن في التلاؤم الصوتي، لذا حاول بعضهم معارضة القرآن كما فعل مسيلمة وغيره، ولان الرماني المعتزلي شأنه شأن المعتزلة الاوائل في الدفاع عن الاسلام والقرآن، فقد حاول من خلال هذا القسم اظهار التلاؤم المعجز كوجه من وجوه

(1) سورة عبس: 38 - 42 .
(2) =: التصوير الفني في القرآن / 72.
(3) ر / 107 .
(4) سورة الزخرف: 55 .

الإعجاز البلاغي، وليس الوجه الاوحد للاعجاز، فهو معجز باضافته إلى الاقسام والوجوه الاخرى، وبهذا لايشمل الرماني بحكم عبد القاهر الجرجاني حين يقول: ((واعلم انا لانأبى ان تكون مذافة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وان تكون مما يؤكد امر الإعجاز، وانما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب إليه ان يجعله معجزاً به وحده ويجعله الاصل والعمدة))[1].

مخارج الحروف:

وكان لابد للرماني وهو يتحدث عن التلاؤم والتنافر، ان يذكر شيئاً عن مخارج الحروف، لذا اوجز القول في ذلك ايجازا شديدا بقوله ((ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ماهو من اقصى الحلق، ومنها ما هو ادنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك))[2]، واذا كان الرماني موجزا هنا، فقد نقل الرازي [3]لنا تفصيلا لمخارج الحروف عند الرماني وعدتها ستة عشرة، وهذا التفصيل لم يرد في كتاب النكت، مما يؤكد ان الرماني قد فصل القول فيه في كتاب آخر، أو ان النص الذي اورده الرازي قد سقط من النكت لسبب ما.

التلاؤم والاعجاز:

ويخلص الرماني بعد ذلك كله إلى ان إعجاز القرآن والتحدي به قد عم الجميع، في كل زمان ومكان، وان التحدي ((جاء علىجهة الاخبار بان لاتقع المعارضة لاجل الإعجاز))[4] وهو هنا يؤكد اهمية البلاغة وارجحيتها على الوجوه الستة الاخرى التي ذكرها للاعجاز، فلان القرآن معجز ببلاغته، فلاتقع المعارضة، إذ يقول ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [5] وتحداهم فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ [6] فقطع بانهم لن يفعلوا، وقال وقال أيضاً: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [7] وقال: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [1].

(1) دلائل الإعجاز / 456 .
(2) ر / 96 .
(3) =: نهاية الإيجاز / 56 .
(4) ر / 97 .
(5) سورة البقرة: 23 .
(6) س ن: من 24 .
(7) سورة الاسراء: من 88 .

وكأنهم في بداية امرهم ظنوا ان الإعجاز في اللفظ وتلاؤمه باصواته ونظمه وفواصله، فحاولوا معارضته هكذا، وحين تعللوا بعدم فشلهم بان الإعجاز بالعلم والمعاني، فظنوا ان التحدي ((كان إلى ان يعبروا عن معاني القرآن انفسها وباعيانها بلفظ يشبه لفظه ونظم يوازي نظمه، وهذا تقدير باطل، فان التحدي كان إلى ان يجيئوا في أي معنى شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه))[2] بدليل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ** ﴾ [3] وهكذا قامت الحجة على الجميع وبذلك تتبين المعجزة.

(1) سورة الطور: 34 .
(2) الرسالة الشافية / 141 .
(3) سورة هود: من 13 .